

## إلى تبوك!

﴿ لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾

(سورة التوبة الآيتان: ٩١ - ٩٢)

﴿ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً لِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾

(سورة التوبة الآيتان: ٨١ - ٨٢)

\* \* \*



«المدينة على مشارف رجب ٩ هـ، وقد تقاطرت الأنباء مع القادمين من الأنباط بأن الروم يحشدون جموعاً لهم في «البلقاء» بالأردن لغزو حدود العرب الشمالية، وأنه قد اجتمعت لهم قبائل لخم وجذام وغسان وعامله المواليه..  
النبي - عليه السلام - يجتمع بكبار صحابته فيقرر رأيهم على الخروج لملاقاة جموع الروم قبل أن يداهموهم في دارهم.. لم يجد النبي - عليه السلام - بدأ من إعلان المسلمين - على خلاف عادته - بوجهته.. فالمسافة بينهم وبين تبوك بعيدة ممعنة في البعد، والحر في هذه الأيام شديد بالغ الشدة، والزمن زمن عسرة، اشتد الجذب، وقلت الثمار، والناس يحبون المقام في هذا الهجير في الظلال.. والعدو الذي ينتظرهم هناك كبير.. فلا بد من أن يتخذ الناس للأمر أهبتة، وأن يتجهزوا بما يعين على طول الطريق ووعناء السفر وعناء الجهاد المنتظر.. أخذ عليه السلام يبعث بعوئه إلى مكة وإلى قبائل العرب يستنفرهم على الخروج معه..».

«المسجد النبوي، والنبي - عليه السلام - وسط الصحابة وقد دعا إليه رؤوس القبائل ليوفدهم إليها لاستنفرهم على القتال.. بعث بُريدة بن الحصيبي إلى أسلم وأمره أن يبلغ

الْفُرْعَ، وبعث أبا رُهم الغفارى إلى قومه يطلبهم ببلادهم، وخرج أبو واقد الليثى إلى قومه، وأبو الجعدة الضمري فى قومه بالساحل، وبعث أبا رافع بن مكيث وجند بن مكيث إلى قومهما جهينة، وبعث نُعيم بن مسعود فى أشجع، وبعث فى بنى كعب بن عمرو - بديل بن ورقاء وعمرو بن سالم وبشر بن سفيان، وبعث عدة فى سليم منهم العباس بن مرداس.. أوصاهم أن يحضوا أقوامهم على الخروج معهم، وحثهم على الصدقة، فأخذ الكثيرون يحملون الكثير من الصدقات بيد أن الخارجين للقاء جموع الروم كُثُر.. وليس يوجد ما يكفى من مؤنة أو ركائب.. يحز فى نفس الرسول والمسلمين أن كثيراً لا يجدون ما يخرجون به.. حتى كثر بذلك تعلق المنافقين».

\* \* \*

«النبى عليه السلام أثناء التجهز للخروج إلى تبوك، وقد جعل يتسلل التخاذل إلى البعض، يستثقلون الخروج للجهاد فى هذا الحر القاطظ، والجذب وقلة الثمار، فيختلقون المعاذير، وكثرت تعلات المنافقين.. يتجه عليه الصلاة والسلام إلى ربه، يتعبد إليه ويناجيه ويشكو حال ما يصادفه،

فيوافيه جبريل عليه السلام، ويوحى إليه من أمر  
ربه...».

جبريل

: (يتلو على محمد) ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَالًا كَثِيرًا إِذَا قِيلَ  
لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنَا قُلْنَا إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ  
الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ  
إِلَّا قَلِيلًا ﴿٣٨﴾ إِلَّا أَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ  
قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ  
﴿٣٩﴾ إِلَّا نَضُرُّوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا  
ثَافِلًا اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ  
إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُودٍ  
لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى  
وَكَالِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَنْفِرُوا  
خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ  
خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿سورة التوبة الآيات: ٣٨ - ٤١﴾.

(يرتفع الوحي)

\*\*\*

«النبى عليه السلام فى ترتيبه لمقاومة شدة  
الظروف، يأتبه آخرون كثيرون غير من تخاذلوا  
وتعللوا يريدون أن يخرجوا دون أن يجدوا لذلك  
سبيلا، فيجأون بحاجتهم إلى الرحمة المهداة  
عليه الصلاة والسلام سائلين إياه أن يعينهم  
على ما عجزوا عنه، فيأتيه عليه السلام سبعة

من بنى مقرن من مزينة، يريدون الخروج معه،  
ولكنهم لا يجدون نفقة ولا محملاً!». .

النبي : (معتذراً للبيعة الذين لجأوا إليه من بنى مقرن) لا أجد ما  
أحملكم عليه!

«السبعة يتولون قانطين وأعينهم تفيض من  
الدمع حتى سماهم المسلمون: «البكائين» من  
فرط ما بكوا يأساً من العثور على ما يخرجون  
به...» .

\* \* \*

«بحى من أحياء المدينة، ابن يامين بن عمير  
ابن كعب النضرى، يصادف اثنين من البكائين:  
أبا ليل عبد الرحمن بن كعب وعبد الله بن  
مغفل، فيسألها مشفقاً...» .

ابن يامين بن عمير : ما يبكيكما؟  
أبوليل وعبد الله بن مغفل : جئنا رسول الله ليحملنا فلم نجد عنده ما يحملنا  
عليه، وليس عندنا ما نتقوى به على الخروج معه!!

«ابن يامين بن عمير يرق لهما، فيصحبهما إلى  
داره ويعطيهما ناضحاً له (الجمل الذى يستقى  
عليه الماء) ليرتحلا عليه، ويزودهما بشيء من  
تمر، فينصرفان مسرورين حامدين شاكرين أن  
أعانهما على الخروج مع الرحمة المهداة فيما  
تمنياه» .

«النبى عليه السلام خالٍ إلى نفسه، يتعبد  
ويناجى ربه، فيتنزل عليه الروح الأمين يسرى  
عنه فيمن رجوا الخروج فلم يجدوا ما يحملهم».

جبريل

: (يتلو على محمد) ﴿ لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى  
الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ  
مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (١١) وَلَا عَلَى  
الَّذِينَ إِذَا مَا اتَّوَكَّلُوا لِيَتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَحِذَ مَا أَحْمِلُكُمْ  
عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا  
يُنْفِقُونَ ﴿١٢﴾ (سورة التوبة الآيتان: ٩١ - ٩٢)

(يرتفع الوحي)

\*\*\*

«الصحابه وقد شعروا بأزمة جيش العسرة  
يتسابقون فى حمل ما يستطيعون لتزويد الجيش  
باحتياجاته من المؤن والعيير.. النبى - عليه  
السلام - يلح أبى بكر الصديق وقد جاء بماله  
كله: أربعة آلاف درهم..».

النبى : (يراجعه مشفقاً) هل أبقيت شيئاً؟  
أبو بكر : الله ورسوله أعلم.

«يظهر عمر بن الخطاب وقد حمل معه ما

استطاع.. النبى - عليه السلام - يراجعه..»

النبى : (مشفقاً) هل أبقيت شيئاً؟  
عمر بن الخطاب : نعم، نصف ما جئت به..

«أحد الصحابة يسر إلى عمر أن أبا بكر قد أتى

بكل ما عنده...».

عمر بن الخطاب : ما استبقنا إلى خير قط، إلا سبقني إليه..

«النبي - عليه السلام - يلح «الجد بن قيس»  
ماضيًا بين الناس، لا يظهر شيئًا، ولا يلوى  
على شيء.. النبي - عليه السلام - يستوقفه  
متسائلًا...».

النبي : (لجد بن قيس) يا جد هل لك العام في جلد بني الأصفر؟  
الجد بن قيس : (معتذرًا) يا رسول الله، أو تأذن لي ولا تفتني..  
أحد الصحابة : (مرددًا في استنكار) يفتتلك؟!  
الجد بن قيس : والله لقد عرف قومي أنه ما من رجل أشد عجبًا بالنساء  
مني، وإنى أخشى إن رأيت نساء بني الأصفر أن لا  
أصبر!.. (يستأنف متحدثًا بحديث المنافقين) لكن أعينك  
بمالي، فإني إذا رأيت النساء لم أصبر حتى افتتن، فآذن  
لي..  
النبي : (ممتعًا) قد أذنت لك!!

«النبي يشيح عنه معرضًا مستاءً.. يمضى -  
عليه السلام - في أحياء المدينة داعيًا الناس  
للتجهز.. يلم به جبريل - عليه السلام - فيوحى  
إليه من كلمات ربه...».

: (يتلو على محمد) ﴿ وَمَنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَتَدْنَى وَلَا تَقْتَبِنِي ۗ أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٤٩﴾ إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا مِنْ قَبْلٍ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَائِزُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا لِأَحَدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَنَحْنُ نَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾ قُلْ أَنْفَعُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُنْقَبَلَ مِنْكُمْ إِنَّا كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٣﴾ (سورة التوبة الآيات: ٤٩ - ٥٣)

(يرتفع الوحي)

\*\*\*

«المدينة.. لا تزال جماعات المنافقين مع شرانم اليهود على كيدهم للإسلام ورسوله.. ويقول بعضهم لبعض: لا تنفروا في الحر.. يرجفون برسول الله، ويثبطون الناس ويخذلونهم عنه...»  
«النبي - عليه السلام - خال إلى تعبدته، وقد أخبره الوحي بما يتقوله المنافقون.. يتنزل عليه الروح الأمين فيوحى إليه من آيات ربه...»

: (يتلو على محمد) ﴿ فَرَحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا

نَفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا  
 قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ (سورة التوبة  
 الآيتان: ٨١ - ٨٢)

(يرتفع الوحي)

\* \* \*

«بظاهر المدينة، في الخلاء.. وقد أرخى  
 الليل سدوله، وسكنت الكائنات.. شبح يخرج  
 من جوف الليل متسللاً ناشداً هذا الخلاء.. هو  
 علبة بن زيد، أحد البكائين الذين قصدوا الرسول  
 وناشدوه ليعينهم على الخروج فلم يجد لهم ما  
 يحملهم عليه.. ها هنا، تحت جناح الليل، دون  
 أن يلحظه أو يراه أحد، علبة مستغرق في صلاة  
 خاشعة وقد غلبه البكاء على فقدان أمله في  
 الخروج مع رسول الله - عليه السلام - الرجل  
 يتجه إلى الله ضارعا..».

علبة بن زيد : (ضارعاً) اللهم إنك أمرت بالجهاد ورغبت فيه، ثم لم  
 تجعل عندي ما أتقوى به، ولم تجعل في يد رسولك ما  
 يحملني عليه، وإنى أتصدق على كل مسلم بكل مظلمة  
 أصابتنى فيها في مال أو جسد أو عرض!

\* \* \*

«المسجد النبوي في الصباح، النبي - عليه  
 السلام - في صحابته وقد فرغوا من صلاة

الصبح.. النبى - عليه السلام - ينادى فى  
الناس..».

النبى : (منادياً) أين المتصدق هذه الليلة؟

«لا أحد يرد..».

النبى : (معاوداً) أين المتصدق فليقم..

«علبة بن زيد، يقوم متردداً.. النبى - عليه  
السلام - يسأله عما حدث منه بأمس، فيطفق  
يروى خروجه إلى الصحراء وضراعتة إلى ربه، وما  
نذر التصدق به..».

النبى : (لعلبة مواسياً ومبشراً) أبشر، فوالذى نفسى بيده لقد  
كتبت فى الزكاة المتقبلة!

\* \* \*

«المسجد النبوى بالمدينة ، وقد فرغ المسلمون من  
الصلاة.. النبى عليه الصلاة والسلام فى منصرفه  
يلاحظ غريباً كان يصلى فى آخر الصفوف.. لم  
يسبق له عليه السلام أن رآه ، فيسأله فى رفق..».

النبى : (للوafd الغريب) من أنت؟

الوafd الغريب : وائلة بن الأسقع..

النبى : (مترفقاً) وما حاجتك؟

وائلة بن الأسقع : الإسلام. خرجت من أهلى فى كنانة، أريد الإسلام.

النبى : (حائياً) هو خير لك.

(مستأنفاً) وتهاجر؟

وائلة : نعم يا رسول الله.

النبي : هجرة البادى أو هجرة البانى .  
 وائلة : أيهما خير..  
 النبي : (موضحاً) هجرة البانى أن يثبت مع النبى ، وهجرة البادى أن يرجع إلى باديته .  
 وائلة : بل هجرة البانى يا رسول الله .  
 النبي : عليك بالطاعة فى عسرك ويسرك ومنشطك ومكرهك..  
 وائلة : نعم يا رسول الله .

«النبى عليه السلام يمد يده فيتلقى يد الوافد الجديد.. وائلة بن الأسقع.. وإذ يلاحظ أنه لم يستثن لنفسه شيئاً، يقول مستدركاً له : فيما استطعت.. فيردد وائلة : فيما استطعت.. ويضرب الرسول عليه السلام على يده حانئاً داعياً له بالخير..»

«وائلة يتجه إلى المسلمين بالمسجد، وينادى فيهم..».

وائلة : (فى المسلمين) تمنيت أن أخرج معكم إلى تبوك ، وليس لى ما يحملنى ، فمن يحملنى وله سهمى؟  
 كعب بن عجرة : (مليئاً من وسط الصفوف) أحملك عقبه بالليل ، ويدك أسوة يدي..

«تتصاعد تكبيرات ورحمات المسلمين..».

\* \* \*

«المسجد النبوى، النبى - عليه السلام - فى صحابته وقد كشف الله تعالى له أمر نفر من

المنافقين يجتمعون تباعا ببيت «سُوَيلم اليهودى»  
يثبطون الناس عن رسول الله - عليه السلام -  
ويتخذون البيت مقرا للتآمر وبث سموم تخذيلهم  
إلى الناس.. النبى - عليه السلام - يدعو إليه  
صاحبه طلحة بن عبيد الله، فيأمره بالخروج فى  
نفر من أصحابه لتحريق هذا الوكر الذى اتخذه  
المنافقون مركزا للكيد لله ورسوله..».

\*\*\*

«بظاهر بيت سويلم اليهودى، وقد استطاع  
الضحاك بن خليفة النجاة فيمن نجوا، يطفق  
منشداً وقد كسرت ساقه وشعر بالندم على ما  
كان منه..».

الضحاك بن خليفة : (ينشد)

وكادت وبيت الله نارُ محمد      يشيط بها الضحاكُ وابنُ أبيرق  
وظلت وقد طبقتُ كبسُ سُوَيلم      أنوء على رجلى كسيراً ومرفقى  
سلامٌ عليكم لا أعود لمثلها      أخاف ومن تشمل به النار يُحرق

\*\*\*

«المدينة، ولا يتوقف المنافقون عن الكيد  
والتآمر..أضمر بنو غنم بن عوف بناء مسجد  
يشتمون به المسلمين بين المساجد، ليكون مسجدا  
ضراراً مقابل مسجد قباء.. اجتمع ملوهم فى بيت  
أحدهم للتآمر على إقامة المسجد الذى أجمعوا  
إقامته للإضرار بالمسلمين».

- معتب بن قشير : رأيتم ما تهيأ لبني عمرو بن عوف، ودعوه مسجد قباء؟  
آخر : زعموا أن محمداً قد وضع لهم أساسه وأقام قواعده، ومضوا  
بها بين الناس!!
- ثالث : كل من بالمدينة يهتف الآن ببني عمرو بن عوف، ويتحدث  
عن مسجد قباء!
- رابع : لا يرضيني إلا أن أرى مسجدهم مقوضاً..  
ثعلبة بن حاطب : إن هذا الهم يسير.. الهم الذي يبعث الأحران، هو هذا  
الدين الذي لا تخمد جذوته!
- وديعة بن عامر : جاءني من أبي عامر (الفاسق) يوصيني أن نتم بناء المسجد  
الذي أزمعنا، وأنه آت إلينا بجيش من الروم..
- أحدهم : فماذا ترى؟  
وديعة بن عامر : أن نسرع بإتمام بناء المسجد الذي أزمعناه في البقعة التي  
اخترناها، ونقيم له من بيننا إماماً، ثم ندعو محمداً للصلاة  
فيه فنفرق شملهم، ثم يكون المسجد من بعد ملاذاً لأبي  
عامر (الفاسق) حين يعود..
- الباقون : أحسنت وأصبت.. فمن يصلى بالناس؟!  
وديعة بن عامر : ها هو «مجمع بن جارية».. هو واحد منا، قارئ للقرآن،  
عارف بالفرائض.. نوهمه حسن قصدنا وندعوه لإامتنا،  
ثم ندعو محمداً للصلاة فيه!
- الباقون : نعم الرأي!
- «ينهضون!...»

\* \* \*

«النبي - عليه السلام - وسط المسلمين يحثهم  
على الجهاد والتجهز للخروج إلى تبوك، يلم به  
المتآمرون من بنى غنم بن عوف..».

بنو غنم بن عوف : يا رسول الله، إنا قد بنينا مسجدا لذى العلة والحاجة  
والليلة المطيرة، وإنا نحب أن تأتينا وتصلى لنا فيه..

النبي : (وقد كشف الله له مآربهم) إني على جناح سفر وحال  
شغل، وإذا قدمنا إن شاء الله صلينا لكم فيه..  
«ينصرف النبي - عليه السلام - لعمله،  
ويعود بنو غنم قانطين محبطين!!».

\* \* \*

«المدينة، والصحابة لا يزالون يستخرجون  
كل ما لديهم للتصدق وإعانة جيش العسرة على  
الخروج.. يتسابق في هذه الخيرات طلحة بن  
عبيد الله، وعبد الرحمن بن عوف، ومحمد بن  
مسلمة، وعاصم بن عدي.. يبلغ النبي - عليه  
السلام - أن صاحبه عثمان بن عفان قد جهز  
ثلث الجيش، فكان أكثر المسلمين نفقة، حتى  
كفى الجيش مؤونتهم.. النبي عليه السلام وقد  
بلغ به التأثر مداه لصنيع عثمان، يرفع يديه إلى  
السماء ضارعا...».

النبي : (داعياً) اللهم ارض عن عثمان، فإني عنه راض..  
(يستأنف) ما يضر عثمان ما فعل بعد هذا!

\* \* \*

«المدينة والمسلمون لا يزالون يجاهدون  
لاستكمال اعداد جيش العسرة للخروج لملاقاة  
الروم.. لم يعد عند الناس ما يقدمونه.. قد  
فعل أهل الخير والمعروف ما استطاعوا وفوق ما  
استطاعوا، وتكفل العباس بن عبد المطلب ومحمد  
ابن عمر بمن بقي من البكائين، وتسابق الفقراء  
أيضاً في بذل ما يستطيعون، حتى إن الرجل  
ليأتى بالبعير إلى الرجل والرجلين فيقول: «هذا  
البعير بينكما تتعاقبانه، ويأتى الرجل بالنفقة  
فيعطيهما بعض من يخرج، وحتى أخذت النساء  
يبعن كل ما يقدرن على بيعه...».

«النبي - عليه السلام - فى المسجد يأتيه أبو  
موسى الأشعري فى نفر من الأشعريين ينشدون  
إياه أن يحملهم معه فى جيش العسرة...».

أبو موسى الأشعري : يا رسول الله، إن أصحابنا من ورائى قد أرسلونى لتحملهم!  
النبي : (معتذراً) والله لا أحملكم على شىء، وما عندى ما أحملكم  
عليه..

«ينصرف أبو موسى ومن معه حزائى مكروبيين  
يتناجون مع باقى قومهم فى الحائل الذى يمنعمهم  
عن الخروج، وإنهم لفى تناجيههم يسمعون صوت  
بلال بن رباح منادياً...».

بلال بن رباح : (منادياً) أين عبدالله بن قيس (هو أبو موسى الأشعري)؟  
أبو موسى الأشعري : ها أنذا يا بلال.

- بلال : أجب رسول الله فإنه يدعوك..
- أبو موسى : (مرددًا) يدعوني؟! :
- بلال : لقد جىء إلى رسول الله بكم من الإبل.. هلم إليه..
- «أبو موسى الأشعري يطير إلى مجلس النبي - عليه السلام - ما يكاد الرسول يراه حتى يدفع إليه بقرنين من الإبل».
- النبي : (لأبي موسى الأشعري) خذ هذين القرنين ، وهذين القرنين ، وهذين القرنين..
- أبو موسى : (فرحًا) بأبي وأمي أنت يا رسول الله..
- النبي : انطلق بهن إلى أصحابك فقل إن رسول الله يحملكم على هؤلاء فاركبوا!
- «أبو موسى ينطلق فرحًا حتى يلحق بأصحابه.. يبتدرهم وهو يلهث!».
- أبو موسى : (لقومه) إن رسول الله يحملكم على هؤلاء.. (يعود فيستدرك) ولكن والله لا أدعكم حتى ينطلق معي بعضكم إلى من سمع بقالة رسول الله حين سألته لكم ومنعه في أول مرة، ثم إعطاؤه إياي بعد ذلك..
- بعضهم : ولم يا أبا موسى؟
- أبو موسى : حتى لا تظنوا أنني حدثتكم بشيء لم يقله!
- القوم : والله إنك عندنا لمصدق ولنفعلن ما أحببت..

\* \* \*

«النبي - عليه السلام - في مجلسه ، يلم به أبو موسى الأشعري وقومه..».

: (للقوم) ما أنا حملتكم، ولكن الله حملكم..

«ينصرفون مكبرين..».

\* \* \*

«دار الجد بن قيس الذي اعتذر لرسول الله عن الخروج بقالة إنه محب للنساء، ويخشى على نفسه أن يفتتن بنساء بنى الأصفر.. يدخل عليه ثائرًا ابنه عبد الله بن الجد، وكان بدريًا، وهو أخو معاذ بن جبل لأمه.. لم يعجبه ما قاله أبوه لرسول الله عليه السلام، فيبادر أباه غاضبًا يقول..».

عبد الله بن الجد : (لأبيه) لم ترد على رسول الله مقالته؟

«الأب صامت لا ينطق بشيء!..».

عبد الله بن الجد : (مكرراً) لم ترد على رسول الله مقالته؟ (مضيفاً) فوالله ما فى بنى سلمة أكثر مالاً منك.. (يستأنف عاتباً) ولا تخرج ولا تحمل أحداً!!

الجد بن قيس : (معتذراً) يا بنى، ما لي وللخروج فى الريح العسرة إلى بنى الأصفر؟!.. (يستأنف متعللاً) والله، ما آمن خوفاً من بنى الأصفر وإنى فى منزلى بخربى، فأذهب إليهم فأغزوهم.. إنى والله يا بنى عالم بالدوائر!

«يشتظ غضب الابن عبد الله.. فيغلظ لأبيه

اللوم والعتاب..».

عبد الله بن الجد : لا والله، ولكنه النفاق!.. قد أنزل الله فيك قرآناً يقرأه الناس!!

الجد بن قيس : اسكت عنى يالكع ! والله لا أنفك بِنافعة أبداً ! والله لأنت  
أشد على من محمد!

\* \* \*

«النبى عليه الصلاة والسلام فى خلوته ،  
وتبتله الصامت ، وتهجده وتحنثه إلى ربه ، يتأمل  
كيف أتاه بنو مقرن من أعراب مزينة للخروج  
معه إلى تبوك ، بينما قد تثاقل كثيرون ، وتعلل  
آخرون ، فإذا بهم يأتونه عصبه ، يتوقون إلى  
الخروج للجهاد معه ، وتفيض عيونهم من الدمع  
على أنهم لا يجدون نفقة ولا محملاً.. وأنه عليه  
السلام ليذكر ما تنزل عليه يومها من قول الله  
عز وجل فى رفع الحرج عنهم : ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ  
إِذَا مَا أُوْتُوا لِيُحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أُحْمِئُكُمْ بِأَعْيُنِي  
وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا  
مَا يُنْفِقُونَ﴾ (سورة التوبة الآية : ٩٢) ..»

«وإنه عليه الصلاة والسلام ليتأمل فى خروج  
هؤلاء عما شاع عن الأعراب ، أنهم جفاة غلاظ ،  
حتى لاندesh بعضهم يوم رأوه يقبل حفيده  
الحسن ، وسألوه متعجبين : أتقبلون صبيانكم؟  
فلما قال لهم : نعم ، قالوا : لكنا والله ما نقبل !  
فما ملك يومها أن قال لهم - عليه السلام : «أو  
أملك إن كان الله قد نزع من قلوبكم الرحمة !» .

«وإنه عليه الصلاة والسلام إذ تطوف به هذه  
الذكريات ، يتأمل معها كيف أتاه هؤلاء السبعة

من الأعراب من بنى مقرن من مزينة، ليخرجوا معه إلى تبوك، وقد أعوزتهم النفقة وما يحملهم، فلما اعتذر لهم بأنه لا يجد ما يحملهم، فاضت عيونهم من الدمع حزناً ألاّ يتمكنوا من الخروج معه.. إن هؤلاء السبعة من الأعراب، ولكن إيمانهم عميق، وعواطفهم فى حب الله ورسوله جياشة.. ولم يغادروا حتى هياً لهم بعض المسلمين سبل الخروج معهم.. يستحضر عليه الصلاة والسلام ما ألقاه إليه ربه سلفاً: ﴿وَكَلَّ إِنْسَانَ الزَّمَنَةَ طَلِيْرَةً فِي عُنُقِهِ وَنُجِرَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا﴾ (سورة الإسراء: الآية: ١٣)..»

«وإنه عليه الصلاة والسلام فى مناجاته وخواطره، يتنزل عليه الروح الأمين، فيوافيه من آيات ربه..».

جبريل (يتلو على محمد) ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ  
الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَانًا وَعِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتُ الرَّسُولِ أَلَا  
إِنَّمَا تُرْبَةٌ لَهُمْ سِوَى ذَلِكَ لَمْ يَلْبَسُوا فِي رَحْمَةِ اللَّهِ إِنْ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (سورة  
التوبة الآية: ٩٩).

(يرتفع الوحي)

\* \* \*

«النبى - عليه السلام - يزعم الخروج بمن تهبأوا للخروج معه.. تقدم إليه بعض المعذرين من الأعراب ليأذن لهم فلم يعذرهم.. وتهبأ -

عليه السلام - للتحرك ، بينما أقبل عبد الله بن أبي فحسكر بالمتخاذلين معه على «ثنية الوداع» فى حلفائه من اليهود والمنافقين.. استخلف - عليه السلام - على المدينة محمد بن مسلمة الأنصارى ، وتحرك مغادراً يوم خميس ، وكان يستحب الخروج فيه ، وتخلف عنه نفرٌ من المسلمين من غير شك ولا ارتياب : منهم كعب بن مالك ، وهلال بن الربيع ، ومُرارة بن الربيع .. كما تخلف لحظة الخروج ابوخيثمة السالمى وأبوذر الغفارى .. وهم جميعاً نفر صدق لا يتهمون فى إسلامهم..».

«المسلمون وقد اصطفوا بظاهر المدينة للتحرك ، وأمر رسول الله كل بطن من الأنصار والقبائل من العرب أن يتخذوا لواء أو راية ، وأخذوا فى التحرك تتصاعد تكبيراتهم إلى عنان السماء..».

عبد الله بن أبى : (متمتمًا لنفسه فى غلٍّ على كئيب بثنية الوداع) يغزو محمد بنى الأصفر، مع جهد الحال والحر والبلد البعيد، إلى ما لا قبل له به! والله لكأنى أنظر إلى أصحابه غدًا مقرنين فى الحبال!

«تتوه كلمات ابن أبى وتختفى بين تكبيرات المسلمين..».

\* \* \*

«بأول الطريق إلى تبوك عند «الجرف»، على ابن أبى طالب حاملاً سلاحه من وراء القافلة

لاهُنَّأ ما إن يلحق بها حتى يلحمه الرحمة  
المهداة فيسأله متعجباً ما أقدمه وقد خلفه على  
أهله بالمدينة؟!!!».

على بن أبى طالب : (معتذراً فى حياء) أرجف المنافقون بالمدينة وقالوا ما خلفه  
إلاً استثقالا له وتخففاً منه!

صحابى : ألهذا الكلام جئت؟!!

على : (معتذراً) يا نبى الله، زعم المنافقون أنك إنما خلفتني أنك  
استثقلتني وتخففت منى!

النبى : كذبوا، ولكننى خلفتك لما تركت ورائى فارجع فاخلفنى  
فى أهلى وأهلك..

«على بن أبى طالب يبدو متردداً.. يستكثر أن

يخرج الرسول والمسلمون ويتركوه..».

على : يا رسول الله، تخلفنى مع النساء والصبيان؟!!

النبى : (مراضياً) أفلا ترضى يا على أن تكون منى بمنزلة هارون  
من موسى، إلا أنه لا نبى بعدى..

«على يستعبر ويرجع راضياً قريراً بما أبداه

له رسول الله - عليه السلام».

\*\*\*

«المدينة بعد أيام من رحيل جيش العسرة إلى

تبوك.. دار أبى خيثمة: أحد الذين تخلفوا..

يدخل أبو خيثمة لاثداً إلى بيته وقد اشتد لهيب

الحر، فيلقى امرأتين له فى عريشين لهما فى

حائطه، وقد رشت كل منهما عريشها، ورشت

فيه ماءً، وهيات له فيه طعاماً.. ما إن يدخل

أبو خيثة وتستقبله نسيمات الظل والماء المرشوش،  
حتى يقف على باب العريش كالمفلوج...».

أبو خيثة : (وهو ينظر إلى امرأته) سبحان الله! رسول الله في  
الضَّحِّ والريح والحر، يحمل سلاحه على عنقه.. وأبو  
خيثة في ظل بارد وطعام مهياً، وامرأة حسنة، في ماله  
مقيم!!!  
(يستأنف مستخزياً) ما هذا بالنَّصف!..  
(يستأنف) والله لا أدخل عريش واحدة منكما حتى ألحق  
برسول الله..

«المرأتان تقفان مبهوتتين وقد انعقد  
لساناهما!...».

أبو خيثة : (مستحثاً) ماذا تنتظران؟! أسرعاً فأعدا لي زاداً، وأمرأ لي  
بناضحى أرتحل عليه..

«تنصرفان لتجهيز ما أمر به.. ما إن تتما  
تجهيز الزاد، حتى يسرع أبو خيثة إلى بعيره  
فيتمطيه ويرتحل مسرعاً للحاق برسول الله!...».

\* \* \*

«ببعض الطريق إلى تبوك، يلتقى أبو خيثة  
بعمير بن وهب الجمحي.. قد خرج بدوره ينشد  
للحاق برسول الله.. يترافقان وقد جمعتهما  
الغاية الواحدة..!».

«بعد فترة وقد لاحت في الأفق قافلة جيش  
العسرة.. ينبرى أبوخيثة ناشداً من صاحبه..».

أبو خيثمة : (مناشداً عمير بن وهب) يا عمير! ..  
 عمير بن وهب : لبيك.  
 أبو خيثمة : إن لى ذنباً.. فلا عليك أن تخلف عنى حتى آتى رسول  
 الله قبلك.  
 عمير بن وهب : أفعل.

«أبو خيثمة يطير مسابقاً الريح ببعيره، حتى  
 يبدو شبحة من بعيد للمسلمين...».

المسلمون : (للنبي) يا رسول الله هذا راكب على الطريق مقبل..  
 النبي : (وهو يرنو بنظره إلى بعيد متأملاً) كُنْ أبا خيثمة..  
 «يقترّب القادم، فيلفاه المسلمون كما قال  
 الرسول.. يتصايحون فرحين مهللين مكبرين...».  
 المسلمون : الله أكبر.. هو والله أبو خيثمة يا رسول الله..

«تتصاعد التكبيرات، يسارع أبو خيثمة فينيخ  
 راحلته، ويقبل على رسول الله مسلماً ومعتذراً،  
 ومن ورائه فى الأفق عمير بن وهب يغذ السير  
 ليلحق بدوره بالرحمة المهداة...».

النبي : (لأبى خيثمة معاتباً) أولى لك يا أبا خيثمة!  
 «أبو خيثمة يمضى معتذراً، فيروى لرسول الله  
 ما كان.. فيدعو له عليه السلام بخير، بينما  
 يطلق أبو خيثمة ينشد مرتجلاً...».

أبو خيثمة :  
 لما رأيتُ الناس فى الدين نافعوا أتيت التى كانت أعف وأكرما  
 وبايعت باليمنى يدى لمحمد فلم أكتسب إثماً ولم أغش محرماً

تركتُ خصبياً في العريشِ وصرمةً صفايا كراماً بُسرهما قد تحمّما  
وكنتُ إذا شكُ المنافقُ أسمحتُ إلى الدينِ نفسى شطره حيث يمما  
«ترتفع التكبيرات، وتتغشى المسرات...».

\* \* \*